# مواهب الرحمن

# في تفسير القرآن

تأليف

السيد عبد الأعلى الموسوي

السبزواري

## سورة الفاتحة

## على صراط الحق

## السورة الفاتحة ( ١ ) آية ١

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الاية المباركة ( بسم الله الرحمن الرحيم ) تشتمل على كثير من المعارف الالهية لا سيما الصفات الراجعة الى ذات البارئ عز و جل و في اختيار صفتي الرحمن الرحيم ما فيه من البشارة للانسان من كونه مورد رحمته و عطفه تعالى مهما تعددت اسباب الشر و قويت ، و فيها ارشاد الى تعليم الانسان الى توخي الرحمة و المودة في افعاله و جعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى ليعرف انه مؤمن بالله تعالى ، و ان لا يعتمد على نفسه مهما بلغ من الكمال لانه المحتاج بعد ، بل لا بد له من ايكال امره الى الغني المطلق . التفسير قوله تعالى : بسم الله . الـ " باء " للاستعانة لان الانسان مفتقر بذاته و المحتاج المطلق لا بد و ان يستعين في جميع شؤونه بالغنى المطلق الذي هو الله تعالى فالممكنات في ذاتها و عوارضها و حدوثها و بقائها محتاجة الية تعالى فهي بلسان الحال تستعين به تعالى فقدرت الاستعانة في المقال تطبيقا بين لساني الحال و المقال . و جعل المتعلق كل ما يفعل بعد البسملة و ان كان صحيحا لا باس به و لكن كون المتعلق هو الاستعانة يدل عليه ايضا بالملازمة فان الاستعانة المطلقة به تعالى تستلزم الاستعانة في كل فعل يؤتى به خصوصا ما يؤتى به بعد البسملة ، كما ان كون المتعلق هو الفعل الخاص مثل القراءة في المقام يستلزم تحقق الاستعانة المطلقة ايضا ، اذا المراد القراءة مستعينا به لا القراءة المطلقة و لو بلا استعانة و رعاية منه تعالى فيكون الفرق بينهما كالفرق بين الطبيعي و الفرد في ان تحقق كل منهما خارجا يستلزم تحقق الاخر بل هو عينه . اسم : اصله من السمو مخففة بمعنى الرفعة و منه السماء ، و يصح ان يكون اشتقاقه من السمعة بمعنى العلامة . و الهاء عوض الواو فيكون اصله الوسم ، فالوسم و الوسام و الوسامة بمعنى العلامة . و الهمزة : همزة وصل على التقديرين ، و يصح الاشتقاق من كل منهما ، لان التبديل و التغيير في حروف الكلمة جائز ما لم يضر بالمدلول الا ان يكون اللفظ بخصوص شخصه سماعيا ، و من وقوع التغيير و التبديل في هذا اللفظ في الاشتقاقات الصحيحة و سهولة لغة العرب نستفيد صحة ما تقدم . و يصح رجوع احد المعنيين الى الاخر في جامع قريب و هو البروز و الظهور لان الرفعة نحو علامة و العلامة نحو رفعة لذيها و هما يستلزمان البروز و الظهور و داب اللغويين و الادباء و تبعهم المفسرون جعل المصاديق المتعددة مع وجود جامع قريب من مختلف المعنى مكثرين بذلك من المعاني غافلين عن الاصل الذي يرجع الكل اليه فكان الاجدر بهم بذل الجهد في بيان الجامع القريب و الاصل الذي يتفرع منه حتى يصير بذلك علم اللغة انفع مما هو عليه و لذهب موضوع المشترك اللفظي و غيره من التفاصيل الا في موارد نادرة و لعل سبب اعراضهم عن ذلك هو ان ذكر اللفظ و بيان موارد استعمالاته سهل يسير بخلاف الفحص عن الجامع و تفريع الفاظ منه . ثم ان لفظ الاسم : اسم جنس لاسماء غير محصورة تحدث و تزول على مر العصور في الفاظ و لهجات غير متناهية ، و هذا من اللا يتناهى الذي اتفق الفلاسفة على صحته و اصطلح القدماء منهم عليه بـ " اللا يتناهى اللا يقفي " و لشرحه موضع آخر ياتي عند قوله تعالى : " و من آياته خلق السماوات و الارض و اختلاف السنتكم و الوانكم " الروم - ٢٣ ان شاء الله تعالى . و لفظ الاسم هنا واسطة محضة لاسم الله تبارك و تعالى لا ان يكون له موضوعية خاصة فيكون مما به ينظر لا مما اليه ينظر كما هو الشان في جميع الاسماء الا ان فيها واسطة ليعرف المعنى و هنا واسطة لتعرف اللفظ اي " الله " . و على اية حال سواء كان الاسم من الوسم واقعا بمعنى العلامة او من السمو بمعنى الرفعة ففي ذكر البسملة يكون اظهار لاضافة العبد نفسه اليه تعالى اضافة تشريفية بذكر اسمه تعالى و رفعة المقام العبد به ، و ذكر الاسم في غيره تعالى علامة للمعنى المراد و اخراجه عن الخفاء الى البروز و الظهور . و لا ريب في ان الاسم عرض قائم بالغير سواء اريد لفظ ﴿ ا س م ﴾ او مدلوله اللفظي - كلفظ ﴿ كتاب ﴾ - مثلا ، و ما اطيل فيه قديما من ان الاسم عين المسمى او غيره قد ظهر في الفلسفة المتعالية بطلانه . و في تخلل لفظ الاسم بين حرف ﴿ الباء ﴾ و لفظ الجلالة اشارة الى ان ما هو حد الادراك للانسان انما هو ذكر اسمه تعالى و الاعتقاد به مشيرا من حيث الاضافة الى الذات لا ان يحوم احد حول كشف الحقيقة و الذات فانها لن تدرك لغيره تعالى . و اما قوله تعالى : " اقرا باسم ربك الذي خلق " العلق : ٢ مخاطبا نبيه ( ص ) حيث ذكر الاسم فيه ايضا فهو لاجل تعليم الغير لا بالنسبة الى مقام النبي الجامع من الحقائق كنوزها و الحاوي للدقائق رموزها . ثم انه قد ذكرت هذه الكلمة ﴿ اسم ﴾ في القرآن الكريم مفردا و جمعا ، مضافا الى الله تعالى ، و الى الرب ، و الى الضمير الراجع اليه تعالى ، و موصوفة فقال تعالى : " و لله الاسماء الحسنى " الاعراف : ١٨٠ . و في الكل مقرون بالتعظيم و التجليل و قد كثرت استعمالات هذه الكلمة في الاثار الواردة عن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه و آله و سلم ) و ائمة الهدى ( عليهم السلام ) بقولهم داعيا له تعالى : " باسمك العظيم " " و اسمك الاعظم " و " باسمك الاعظم الاعظم " . و المراد بالعظيم ما اذن الله تعالى لخلقه ان يدعوه به كجميع اسمائه تعالى و المراد بالاعظم ما هو مستور عن خلقه و لكنه تعالى اذن لبعض احبائه ان يدعوه به و اما الاعظم الاعظم فهو ما استاثره لنفسه و لم يظهره لاحد غيره . الله : اجل لفظ في الممكنات كلها لا عظم معنى في الموجودات جميعا . بهت في عذوبة لفظه كل مالك مجذوب و تخير فى عظمة معناه جميع ارباب القلوب ، تتدفق المحبة و الرافة عن الاسم فكيف بالمعنى ، فكان نفس المعنى يتجلى فيه و يقول : " انني انا الله لا

اله الا انا " طه : ١٤ جمعت فيه من الكمالات حقائقها و من الالطاف و العنايات دقائقها و رقائقها ، يطلبونه الملائكة الكروبيون كما يطلبونه اهل الارضين و الكل لا يصل اليه ، ظهر لغيره بالاثار و خفى عن الجميع بالذات فما اعظم شانه فقد عجزت العقول - و ان قويت فطنتها - عن درک افعاله فضلا عن صفاته فكيف بذاته ، فكل ما زاد الانسان تاملا فيه زيد تحيرا و جهلا فسبحان الذي اكتفى بالتحير في الذات و الصفات و الافعال عن التعمق فيها لعلمه الازلي بعدم قدرة ما سواه على ذلک او لعدم لياقة جملة من العقول به . ثم انه قد ذكر اهل اللغة ان ﴿ الله ﴾ اسم جنس للواجب بالذات و لكنه منحصر في الفود كالشمس و القمر و نحوهما و تبعهم فيه جمع من المفسرين . و هو غير صحيح عقلا لان المتفرد بذاته في جميع شؤونه و جهاته و البسيط فوق ما نتعقله من معنى البساطة كيف يقال في اللفظ المختص به انه اسم جنس ( عام ) ؟ و قد ثبت في الفلسفة الالهية المتعالية ان الكلية و الجزئية و الجنسية و نحوها من شؤون المفاهيم الممكنة و ذاته الاقدس فوق ذلک مطلقا فلا يصح اطلاق اسم الجنس على اللفظ المختص به تعالى . نعم لو اراد القائل بانه اسم جنس على نحو الجنسية الوجودية اي : السعة الوجودية بالعنوان المشير الى الذات لا الجنسية الماهوية لكان له وجه لطيف و لكنهم بمعزل عن ذلک . نعم ربما يطلق الاله على غيره تعالى اطلاقا اعتقاديا باطلا كقول فرعون : " ما علمت لكم من اله غيري " القصص : ٣٨ و قوله تعالى : " اجعل الالهة الها واحدا " ص : ٥ . كما ان القول بان ( الله ) اسم جنس باطل من جهة العلوم الادبية ايضا لعدم وقوعه صفة و وقوعه موصوفا دائما فلا يصح ان يكون اسم جنس بل هو علم مختص لواجب الوجود بالذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية لظهور آثار العلمية فيه على ما هو المعروف بين الادباء . و نظير ذلک ما ذكروا انه مشتق من وله بمعنى تحير ، او من اله بمعنى تعبد لتعبد الكل له تكوينا او اختيارا و نحيرهم فيه . و هذا ايضا مردود اولا بان التحير و التعبد عنوان و صفي فلا يصح ان يؤخذ في ما هو اسم للذات المتصف بجميع صفات الجمال و الكمال و الجلال . و ثانيا بما رواه ابن راشد في الصحيح عن موسى ابن جعفر ( ع ) : " سئل عن معنى الله تعالى فقال ( ع ) : استولى على ما دق و جل " فان الحديث ظاهر في ان لفظ ( الله ) غير مشتق من اله و وله بل هو اسم جامد بمعنى القيومية المطلقة على ما سواه . فالحق ما نسب الى الخليل اللغوي و غيره من ان لفظ الجلالة بسيط و ليس بمشتق . و اللام جزء اللفظ ، و ان الواضع له هو الله تعالى بل جميع اسمائه عرفت بتعليمه عز و جل فهو المعرف فيها و المعرف بها و يشهد له قول الصادق ( ع ) : " اعرفوا الله بالله " . ان قلت : ان كلام اللغويين في مفهوم ( الله ) من حيث انه مفهوم لا الذات الاقدس اذا لا اشكال في صحة قولهم في الاشتقاق و كونه من اسم الجنس ( قلت ) : قولهم انما يصح في المفاهيم الممكنة و اما اذا كان الموضوع واحدا و واجبا بالذات يكون الاطلاق عليه مع اطلاقه على الممكن كالاشتراک اللفظي كما ذهب اليه جمع من الفلاسفة في اسمائه تعالى فيكون اطلاقه عليه تعالى بنحو العلمية و في الممكن بنحو اسم الجنس كما في لفظ المدينة مثلا فانها علم لمدينة الرسول ( ص ) و اسم جنس لسائر المدن و لكن في اسمه تعالى لا يجوز اطلاقه على غيره لاختصاصه به كما في قوله تعالى : " انني انا الله لا اله الا انا " طه : ١٤ و يستفاد ذلک من كلام العرب قبل الاسلام ايضا . هذا ما يتعلق بلفظ الجلالة من حيث هو . و اما معناه فلا ريب في انه مما تحير فيه العقول مع اعتراف الجميع بوجوده و داب القرآن و ما ورد في الشريعة التعبير عنه تعالى بالاسماء الحسنى ( الصفات ) التي ذكرت في القرآن من دون تحديد بالنسبة الى الذات بل ورد في الاثر على الائمة ( عليهم السلام ) : " يا من لا يعلم ما هو و لا اين هو و لا حيث هو الا هو " فاثبتوا له تعالى اصل الهوية و لكن حصروا العلم بالهوية به تعالى . نعم ورد في الاثار عنهم ( عليهم السلام ) التعبير عنه تعالى : " انه ذات لا كالذوات و شيء لا كالاشياء " و عن ابي جعفر ( ع ) : " اذكروا من عظمة الله فما شئتم و لا تذكروا ذاته فانكم لا تذكرون منه شيء الا و هو اعظم منه " و عن الصادق ( ع ) : " ان الله تعالى يقول و ان الى ربک المنتهي فاذا انتهى الكلام الى الله تعالى فامسكوا " . و اما ما ورد عن الفلاسفة المتالهين : انه الذات الجامع لجميع الكمالات الواقعية و المسلوب عنه جميع النواقص كذلک ، و عن العرفاء و بعض محققي الفلسفة الالهية : انه الذات المسلوب عنه الامكان مطلقا ، و عن بعض قدماء اليونان - الذي عبر عنه في كلماتهم بشيخ اليونانيين - انه ذات فوق الوجود يمكن ارجاع جميع ذلک الى ما ورد عن الائمة الهداة ( عليه السلام ) و ان قصرت عبارات بعضهم عن ذلک . و سنعود الى بعض ما يتعلق بالمقام في المواضع المناسبة انشاء الله تعالى ، و لعل عدم تعرض القرآن و سائر الكتب السماوية لحقيقة ذاته الاقدس لوضوحه بالاثار و قصور الممكن مطلقا عن درک حقيقة ذات الواجب و انما حده درک الاثار فقط و هو تعالى بين ذلک كاملا في كتابه و يتم بذلک الحجة و البيان . و على اي تقدير ف ( الله ) هو الجامع لجميع الاسماء الحسنى التسعة و التسعين او الثلاثمائة و ستين الذي من احصاها دخل الجنة على ما رواه الفريقان ، و هذه الاسماء المباركة منطوية في لفظ الجلالة انطواء الشعاع في نور الشمس مع المسامحة في هذا التشبيه . قوله تعالى : الرحمن الرحيم هما من الرحمة و من مشتقاتها ، و رحمته عز و جل اعم صفاته و اوسعها شملت جميع ما سواه قال تعالى : " و رحمتي وسعت كل شيء " الاعراف : ١٥٦ فكلما يطلق عليه شيء في جميع العوالم يكون من رحمته تعالى ، و اشكال ان الشر يطلق عليه الشيء ايضا فلا بد و ان يكون من رحمته تعالى مردود بانه ليس في التكوينات شر محض و انما يتحقق الشر بالاضافة - على ما ياتي - . و اما في الاختياريات فان وساطة الاختيار بين الفعل و الفاعل يجعل الشر باختيار الفاعل فلا يكون من رحمته تعالى كما في قوله تعالى : " ما اصابک من حسنة فمن الله و ما اصابک من سيئة فمن نفسک " النساء : ٧٩ . و سياتى تفصيل هذا البحث المفيد مستقلا انشاء الله تعالى في الايات المناسبة له و في قوله تعالى : " و لو ان ما في الارض من شجرة اقلام و البحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفذت كلمات الله " لقمان : ٢٧ اشارة الى مظاهر رحمته الواسعة ، و قد اعترف

الانبياء ( صلى الله عليهم ) و الائمة ( عليهم السلام ) و جميع الفلاسفة المتالهين بالقصور عن الاحاطة بمراتب رحمته تعالى الواسعة و ان بعض عظمائهم اطال القول فى ان وجود كل شيء من رحمته تعالى و اثبت ذلک بالادلة الكثيرة و مع ذلک اعترف بالقصور عن درکها و سياتي تفصيل ذلک في الايات المناسبة لها . ثم ان هاتين الكلمتين من الصفات المشبهة الا انهم فرقوا بينهما بوجوه : الاول : ان الرحمن مبالغة و الرحيم صفة مشبهة يدل على مجرد الثبوت هذا و ان كان صحيحا بالنسبة الى ذات اللفظين حين الاطلاق على المخلوق . و اما من حيث اضافتهما الى الله عز و جل فلا وجه للمبالغة بالنسبة اليه تعالى ، لان صفاته بالنسبة اليه تعالى غير محدودة فلا تجري المبالغة فيها . نعم تصح المبالغة بالنسبة الى مورد الرحمة على نحو قوله تعالى : " من جاء بالحسنة فله عشر امثالها " الانعام : ١٦٠ و قوله تعالى : " ان الله يرزق من يشاء بغير حساب " البقرة : ٢٦١ الى غير ذلک مما يرجع المبالغة فيه الى المبالغة في الرحمة بالنسبة الى المخلوق . و اما ما في بعض التفاسير من ان فعلان لا يدل على الثبوت بخلاف فعيل و انما ذكر تعالى ( الرحيم ) لاجل اظهار ثبوت الرحمة بالنسبة اليه تعالى . ( مخدوش ) لان التفرقة بين اللفظين انما يصح في الممكنات دون الواجب تبارک و تعالى كما عرفت . الثاني : الرحمن يختص بالدنيا و الرحيم بالاخرة لتقدم الدنيا على الاخرة في سلسلة العوالم و النشآت الزمانية فيكون المقدم للمتقدم و الاخير للمتاخر ، او لذكر الرحيم مقرونا بالغفران و التوبة في جملة من الايات الكريمة ، و الغفران و اثر التوبة في الاخرة فيكون الرحيم مختصا بها و الوجهان مخدوشان لا يصلحان حتى للاستحسان فان العوالم بالنسبة اليه تبارک و تعالى في عرض واحد و انه محيط بالزمان و الزمانيات و خارج عنهما الا ان يلحظ ذلک بالنسبة الى المخلوق ، و قد ورد الرحمن بالنسبة الى الاخرة في قوله تعالى : " الملک يومئذ الحق الرحمن " الفرقان : ٢٦ و قوله تعالى : " يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا " مريم : ٨٥ كما ورد الرحيم بالنسبة الى الدنيا في قوله تعالى : " و لا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما " النساء : ٢٩ و قد ورد عن الائمة الهداة : " يا رحمن الدنيا و الاخرة و رحيمهما " . الثالث : ان الاول عام للجميع لقوله تعالى : " و رحمتى وسعت كل شيء " الاعراف : ١٥٦ و الثاني خاص بالمؤمنين لقوله تعالى : " بالمؤمنين رؤوف رحيم " التوبة : ١٢٨ و هو ايضا مردود فان ذكر بعض الافراد و اشرفها لا يدل على نفي ما عداه الا بالمفهوم و قد ثبت في محله انه لا مفهوم للقيد فراجع . الرابع : ان الرحمن ذات الرحمة الشاملة لكل محتاج اليها و بجميع مراتبها التفضلية بلا اختصاص لها بنوع دون نوع من الجماد و النبات و الحيوان و الانسان و سائر المخلوقات فلاجل اهمال المتعلق استفيد العموم و الشمول لجميع الانواع الممكنة من حضيض الجمادات الى اوج المجردات . نعم من اهم مصاديق الرحمانية تنظيم عالم التكوين باحسن نظام و من اجلى مصاديق الرحيمية تنظيم التشريع باكمل نظام و اثر التشريع انما يظهر بالنسبة الى المؤمنين العاملين به اختص الرحيمية بالاخرة من هذه الجهة فهو تعالى رحيم في الدنيا بالتشريع و في الاخرة بالجزاء عليه . و الذي ينبغي ان يقال : انه لا ريب ان جميع ما سواه تعالى مورد افاضة الوجود منه تبارک و تعالى و هذا هو الرحمة الرحمانية التي خرج بها ما سواه من العدم الى الوجود ، كما لا ريب في ان كل نوع من انواع الموجودات مطلقا بل كل صنف من اصنافها له خصوصية لا توجد تلک الخصوصية في غيرها و هي غير محدودة بحد و تنكشف في طي العصور و مر القرون و تلک الخصوصيات غير المتناهية المجعولة منه تبارک و تعالى مورد الرحمة الرحيمية ، فكما ان في الانسان نوع خاص منه و هو المؤمن ورد رحمته الرحيمية يكون في الملک و الفلک و الجماد و النبات و الحيوان ايضا اصناف خاصة تكون تلک الاصناف مورد رحمته الرحيمية بعد عدم برهان صحيح على اختصاص رحمته الرحيمية بخصوص دار الاخرة كما عرفت . و قد ذكرا في مفتتح القرآن العظيم للاعلام بان القرآن من ابرز مظاهر رحمتيه تعالى اما الرحمانية فلفرض وحيه و انزاله و اما الرحيمية فلانه تبارک و تعالى تجلى لعباده فاظهر فيه المعارف الربوبية و خلاصة الكتب السماوية و زبدة حقائق التكوين و التشريع و ربط به قلوب اوليائه . ثم انه يظهر من ذكر الرحمن بعد اسم الجلالة في البسملة و في قوله تعالى : " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن " الاسراء : ١١٠ و سائر موارد استعمال هذا الاسم المبارک في القرآن العظيم ان لهذا الاسم الشريف اهمية عظمى و منزلة كبرى عند الله تعالى فهو من امهات الاسماء كالحى و الرب و القيوم و الرحيم و الى هذه الاربعة يرجع سائر اسمائه عز و جل فاذا راجعنا الى موارد استعمالات هذا اللفظ في القرآن الكريم نرى انه استعمل مقرونا بالتعظيم و التجليل بالنسبة الى عالمي الدنيا و الاخرة قال تعالى : " جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب " مريم : ٦١ ، و قال تعالى : " الملک يومئذ الحق للرحمن " الفرقان : ٢٦ ، و قال تعالى : " الرحمن علم القرآن " الرحمن : ١ و قال تعالى : " ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت " الملک : ٣ . و اما الرحيم فقد ذكر في القرآن الكريم غالبا مقرونا مع الرؤوف و التواب و الغفور ، فقد جمع الله تبارک و تعالى في كتابيه التدويني ( القرآن ) و التكويني بين رحمته الرحمانية و رحمته الرحيمية فتكون الرحمة الرحمانية عامة لجميع الممكنات قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى " طه : ٥ اي استولى و العرش هنا عبارة عما سواه تعالى ، و الرحمة الرحيمية تعم جميع ذوي الكمالات التي افيضت عليهم من المجردات الى الجمادات فتكون من مظاهر رحمتيه تعالى الرحمانية و الرحيمية كما عرفت .

بحوث المقام البحث الدلالي : البسملة هو ايجاد الاضافة بين العبد و خالقه اضافة تشريفية ، و قد اختيرت هذه الجملة المباركة لان فيها من اوسمة الخير ما عرفت ، فان قرن العبد اعتقاده بالعمل بما يدعو اليه تعالى كانت البسملة وساما قوليا و اعتقاديا و عمليا و الا كانت لفظية فقط لها بعض الاثار كالتبرک باللسان مثلا . و مثل هذه الاضافة لم تكن امرا غريبا عند الناس بل هو مالوف عندهم بذكر اسماء عظمائهم و رؤسائهم في مبادئ امورهم تشرفا و تقربا اليهم و وساما لانفسهم مع ان المنسوب اليه كنفس المنسوب و النسبة في معرض الهلاک و الزوال فاثبت القرآن للناس

اضافة تشريفية الى الله تبارك و تعالى الذي لم يزل و لا يزال و تبقى الاضافة اليه كذلك ايضا فقرر ما هو المالوف لديهم بلفظ آخر و هو البسملة ، كما في قوله تعالى : " فاذكروا الله كذكركم آبائكم او اشد ذكرا " البقرة : ٢٠٠ و منه يعلم اهمية البسملة فان فيها اضافة الى الرحمن الرحيم الازلي الابدي و لهذا وردت اخبار تؤكد على الابتداء بها في جميع الامور كما سيجيء في البحث الاتي ، فاذا قال العبد المؤمن ( بسم الله الرحمن الرحيم ) يكون من مظاهر رحمته تعالى من جهتين جهة التلفظ بالقول وجهة الذات فان ذاته من مظاهر رحمته . كما عرفت . ثم ان الاسم ما انبا عن المسمى و هو تارة يكون ذات المسمى ، و اخرى : جوهرا موجودا خارجيا و ثالثة : عرض كذلك . و الكل يصح بالنسبة اليه تعالى فمن الاول ما ورد في الاثر عن علي ( ع ) : " يا من دل على ذاته بذاته " فاتحد فيه تعالى الدال و المدلول و اختلف بالاعتبار و مثله كثير . و من الثاني انبياء الله و اوليائه الذين جاهدوا في الله و في الحديث : " نحن اسماء الله الحسنى " ، بل عن بعض الفلاسفة المتالهين : " ان جميع الموجودات تحكى عن جماله و جلاله " . و من الثالث الاسماء اللفظية التي تطلق عليه تعالى و ياتي في المواضع المناسبة تتمة الكلام . و المعروف ان اسمائه تعالى توقيفية لا يجوز اطلاق اسم عليه تعالى لم يرد في الشريعة المقدسة اطلاق به عليه و ان امكن ذلك عقلا فلا يجوز اطلاق المادة و الصورة عليه تعالى لامتناعه عقلا و عدم الورد شرعا ، كما لا يجوز اطلاق للعلة عليه تعالى لعدم وروده شرعا و ان امكن عقلا . و اما الخالق و الجاعل و سائر مشتقاتهما فقد اطلقا عليه شرعا و هو صحيح عقلا ايضا ، كما انه لم يعهد اطلاق اللقب و الكنية عليه تعالى لاجل امور ياتي التعرض لها ، و ان قيل ان الرحمن بمنزلة اللقب له تعالى ، و لكنه لم اظفر بما يعضده من خبر يدل على ذلك . البحث الفقهي : البسملة في اول كل سورة اما جزء منها او من السورة التي تسبقها ، او اية متكررة في القرآن ، او من غيره ذكرت تبركا . و الكل واضح البطلان كما ياتي سوى الاول و قد وردت النصوص على ذلك فتكون البسملة جزء من كل سورة التي افتتحت بها الا في البراءة فانه لا بسملة لها كما ستعرف ، فعن علي ( ع ) : " البسملة في اول كل سورة آية منها و انما كان يعرف انقضاء السورة بنزولها ابتداء للاخرى و ما انزل الله تعالى كتابا من السماء الا و هي فاتحته " و عنه ( عليه السلام ) ايضا : " انها من الفاتحة و ان رسول الله ( ص ) كان يقراها و يعدها آية منها و يقول فاتحة الكتاب هي السبع المثاني " . و عن ابي جعفر ( ع ) : " سرقوا اكرم آية من كتاب الله بسم الله الرحمن الرحيم " ، و عن الرضا ( ع ) : " ما بالهم قتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة اذا اظهروها " . و في سنن ابي داود قال ابن عباس " ان رسول الله ( ص ) كان لا يعرف فصل السورة - اي انقضائها - حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم " و في صحيح ابن مسلم عن انس قال رسول الله ( ص ) : " انزل علي آنفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم " . و روى الدار قطني عن ابي هريرة : " اذا قراتم الحمد فاقراوا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن و السبع المثاني " . و الاخبار في كونها جزء من سور القرآن كثيرة من الفريقين . و يستحب الجهر بالبسملة مطلقا كما ورد النص بذلك و قد جعل ذلك من علامات المؤمن كما في الحديث و لعل السر في ذلك هو ان الجهر بها اجهار بالحق و اعلان لحقيقة الواقع . كما تستحب الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن لقوله تعالى : " فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه و الذين هم به مشركون " النحل : ٩٧-١٠٠ بل يستفاد من بعض الايات لا سيما سورة الناس استحباب الاستعاذة مطلقا . و هي اما قولية او فعلية . و اجتماعهما في واحد هو من الكمال ، و سياتي التفصيل . البحث الروائي : عن نبينا الاعظم فيما رواه الفريقان : " كل امر ذي بال لم يبدا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر " . و عن الصادق ( ع ) : " لا تدعها ( اي البسملة ) و لو كان بعدها شعرا " اقول : يحمل الخبر الاول على الافضلية جمعا بينهما . و عن ابي جعفر ( ع ) : " اول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم " و عن الرضا ( عليه السلام ) : " انها اقرب الى اسم الله الاعظم من ناظر العين الى سوادها " اقول ياتي ما يتعلق بالاسم الاعظم و مراتبها و آثارها و من هو العالم به و عن ابي جعفر ( ع ) : " اذا قراتها فلا تبال ان لا تستعيذ و اذا قراتها سترتك ما بين السماء و الارض " و يظهر منه انه عند دوران الامر بين البسملة و الاستعاذة تكون البسملة اولى و عن الصادق ( ع ) : " من تركها من شيعتنا امتحنه الله بمكروبة لينبهه على الشكر و الثناء و يمحق عنه و صمة تقصيره عند تركه " اقول : يظهر منه و من جملة من الاخبار ان ترك المندوب و فعل المكروه فيه آثار خاصة فضلا عن ترك الواجب و فعل المحرم . و عن الرضا ( ع ) : " انها الاية التي قال الله عز و جل : و اذا ذكرت ربك في القرآن وحده و لو على ادبارهم نفورا " و عنه ( ع ) ايضا في تفسير البسملة : " يعني اسم بسمة من سمات الله تعالى و هي العبادة . قيل له : ما السمة ؟ قال ( ع ) : العلامة " اقول : العلامات الدالة على الله عز و جل كثيرة فاما جوهر خارجي كالمشاعر العظام ، او عمل خارجي كالصلاة ، او ذكر قلبي كالتفكر في عظمة الله تعالى و التوجه اليه ، او ذكر لفظي كالبسملة و نحوها . و في رواية ان كل واحد من اجزاء البسملة اشارة الى اسم من اسمائه تعالى فعن الصادق ( ع ) : " الباء بهاء الله ، و السين سناء الله . و الميم مجد الله ( ملك الله ) و الله الى كل شيء الرحمن بجميع خلقه الرحيم بالمؤمنين خاصة " اقول : المراد ببهاء الله جماله و جلاله و السناء بمعنى الرفعة ، و اشار ( ع ) في هذا التفسير الى علم الحروف و هو علم شريف الا انه مكنون عند اهله و سياتي البحث عنه ان شاء الله تعالى . و عن نبينا الاعظم ( ص ) : " ان لله عز و جل مائة رحمة انزل منها واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فيها يتعاطفون و يتراحمون ادخر تسعا و تسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة " اقول : رواه الفريقان . و عن علي ( ع ) : " الرحمن العاطف على خلقه بالرزق لا ينقطع عنهم مواد رزقه و ان انقطعوا عن طاعته " و عن الصادق ( عليه السلام ) : " الرحمن اسم خاص لصفة عامة ، و الرحيم اسم عام لصفة خاصة " اقول : اسم خاص اي لا يطلق على

غيره تعالى ، و الصفة العامة لان رحمته تعالى وسعت كل شيء . و الرحيم اسم عام لاطلاقة على غيره تعالى ايضا و الصفة الخاصة يعني مختص بالمؤمنين في الاخرة و تقدم ان هذا الاختصاص اضافي اي ان افضل اقسام الرحيمية انما تكون للمؤمنين فقط .

**السورة الفاتحة ( ١ ) آية ٢**

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

قوله تعالى : الحمد لله . الالف و اللام للجنس او الاستغراق ، و المعنى واحد و الفرق بالاعتبار فاذا لوحظ الحمد من حيث طبعه و ذاته الشامل لجميع ما يدخل تحته من الافراد يطلق عليه الجنس و اذا لوحظ من حيث الافراد فهو استغراق ، فالحقيقة واحدة و الفرق بالاجمال و التفصيل . و على اي تقدير يفيد الانحصار به تعالى كما سياتي . التفسير الحمد : هو الثناء على الجميل الاختياري ، و المعنى ان كل حمد يصدر من اي حامد اختياريا كان او غير اختياري ( تكويني ) فهو لله تعالى لان الكل مخلوق و مربوب له عز و جل فهو الخالق و المدبر لجميع ما سواه فيرجع ما سواه اليه سبحانه ، قال تعالى " الا الى الله تصير الامور " الشورى : ٥٣ فكما انه تعالى مبدا الكل يستلزم ان يكون حمد الكل له ، و في الايات دلالات واضحة عليه ، قال تعالى : " له الملک و له الحمد " التغابن : ١ و قال تعالى : " و له الحمد في السماوات و الارض " الروم : ١٨ ، و قال تعالى : " له الحمد في الاولى و الاخرة " القصص : ٧٠ . ثم ان هناک عناوين اربعة : الحمد ، و المدح ، و الشكر ، و التسبيح . و نسب الى اهل اللغة و جمع من الادباء و المفسرين ان الاول هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري ، و الثاني هو الثناء باللسان على الجميل و لو لم يكن اختياريا ، كما في قول : مدحت اللؤلؤ على صفائها ، و النجوم اللامعة على جلائها و بهائها فيكون الفرق بينهما بالعموم و الخصوص . و لم يرد لفظ المدح في القرآن الكريم ، كما انه لم يستعمل الحمد فيه الا لله تبارک و تعالى . و الثالث ما انبا عن عظمة المنعم سواء كان بالقلب او اللسان او الاركان فالتفكر في عظمته تعالى شكر له و ذكره باللسان و فعل الصلاة شكر له ايضا ، فالحمد اعم من الشكر من ناحية المتعلق لانه الجميل الاختياري سواء كان للحامد ام لغيره و اخص منه من ناحية المورد لان مورده اللسان فقط في الانسان ، و الشكر بالعكس فان متعلقه الانعام على الشاكر فقط و مورده يعم القلب و اللسان و الاركان . و قد ورد الشكر في القرآن بالنسبة اليه تعالى كثيرا ، قال تعالى : " و اشكروا لى و لا تكفرون " البقرة : ١٥٢ ، و قال تعالى : " و اشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون " البقرة : ١٧٢ ، و قد يكون من الله عز و جل لعباده قال تعالى : " فاولئک كان سعيهم مشكورا " الاسراء : ١٩ و قال تعالى : " و كان الله شاكرا عليما " النساء - ١٤٧ و المراد بشكره تعالى هو الجزاء على الخير سواء كان في الدنيا ، او في الاخرة او فيهما معا . كما يقع من الخلق للخلق قال تعالى : " ان اشكر لي و لوالديک و الي المصير " لقمان ١٤ . و التسبيح هو التنزيه عن كل نقص مطلقا و يختص ذلک بالله تعالى كاختصاص الحمد به تعالى ، قال تعالى : " سبحان الله عما يصفون " الصافات - ١٥٩ ، و قال تعالى : " و ان من شيء الا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم " الاسراء - ٤٤ و ياتي التفصيل . هذا ما هو المعروف بينهم . و هنا وجه آخر و هو ان مادة ( ح م د ) مع مادة ( م د ح ) واحدة في اصل المواد و انما الاختلاف بالتقديم و التاخير و هذا الاختلاف اوجب اختصاص لفظ الحمد بالله تعالى و اطلاق المدح على غيره ايضا فيكون لفظ الحمد كلفظ الله و الرحمن مختصا به تعالى فلا ينبغي اطلاقه بالنسبة الى غيره عز و جل و لو اطلق يكون بمعنى المدح ، بخلاف المدح فانه يطلق على غيره تعالى اطلاقا شائعا هذا من ناحية الحصر اللفظي ، و اما من ناحية الحصر المعنوي فلا ريب في ان الممكنات له و منه و به تعالى و قد ثبت في محله ان كل ما بالغير يكون بذاته و كماله منه فكمال الكل و محمودية الكل يرجع اليه . ثم ان الحمد يكون من الله تعالى لذاته المقدسة و هو كثير في القرآن ، قال تعالى : " و له الحمد فى السماوات و الارض " الروم : ١٨ ، و قال تعالى : " الحمد لله فاطر السماوات " فاطر - ١ و قال تعالى : " فلله الحمد رب السماوات و رب الارض " الجاثية - ٣٦ و يكون من خلقه له تعالى : " و قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا " الاعراف - ٤٣ . و اما التسبيح فيقع منه تعالى و من خلقه له ، و لكن لا يقع من الخلق للخلق كما ياتي التفصيل . قوله تعالى : رب العالمين لهذا الاسم ﴿ رب ﴾ الشريف منزلة عظيمة في الكتب السماوية سيما القرآن المهيمن على جميعها فهو من امهات الاسماء المقدسة كالحي ، و القيوم بل هو الام وحده ، لانه ينطوي فيه الخالق و العليم و القدير و المدبر و الحكيم و غيرها ، فانه غير الخلق كما يستفاد من قوله تعالى : " رب السماوات و الارض الذي فطرهن " الانبياء - ٥٦ اي خلقهن . و قد ذكر بعض المفسرين تبعا لجمع من اللغويين ان الرب بمعنى المالک و الملک او الصاحب لكن التدبر في استعمالات هذا اللفظ يعطى ان الملک شيء و ربانيته شيء آخر قال تعالى : " ذلكم الله ربكم له الملک " الزمر - ٦ و قال تعالى : " رب الناس ملک الناس اله الناس " الناس - ٤ فان فيه خصوصية - ليست هي في المالک و الملک و الصاحب - و هي التربية الحقيقية الناشئة عن الحكمة

الكاملة التي لا يتصور النقص فيها بوجه ، فالتكوين شيء و تنظيم عالم التكوين بتربيته على النظام الاحسن شيء آخر قال تعالى : " و هو رب كل شيء " الانعام - ١٦٤ . و يدل على ذلك مضافا الى ما ذكر عدم صحة استعمال كل واحد منها مقام الاخر في الاستعمالات الصحيحة الا بالعناية . و على اية حال فان الرب مجمع جميع اسماء افعال الله المقدسة لان جميع افعاله تبارك و تعالى منشعبة من جهة تدبيره تعالى و تربيته في كل موجود بحسبه فالرب مظهر الرحمة و الخلق و القدرة و التدبير و الحكمة فهو الشامل لما سواه تعالى فانهم المربوبون له تعالى على اختلاف مراتبهم فكم فرق بين الربوبية المتعلقة برسوله الاكرم ( صلى الله عليه و آله ) او سائر الانبياء العظام او الملائكة المقربين و ما تعلق بسائر الناس فالربوبية لها مراتب تختلف باختلاف مراتب المربوب و المتعلق ، قال تعالى : " اقرا و ربك الاكرم " العلق - ٣ ، و قال تعالى : " و ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم " الزمر - ٧٥ و قد ورد في الاثر عن الائمة الهداة ( عليهم السلام ) : " رب الملائكة و الروح " . و قد قرن هذا اللفظ في القرآن الكريم بما يفيد عظمته و جلالته قال تعالى : " سبحان ربك رب العزة " الصافات - ١٨٠ ، و قال تعالى : " و رب العرش العظيم " المؤمنون - ٨٦ ، و قال تعالى : " الله ربكم و رب آبائكم الاولين " الصافات - ١٢٦ و قال تعالى : " سلام قولا من رب رحيم " يس - ٥٨ و قال تعالى : " بلدة طيبة و رب غفور " سبا - ١٥ الى غير ذلك من الايات المباركة ، و لجلال عظمته وقع مقسما به قال تعالى : " فلا و ربك لا يؤمنون " النساء - ٦٥ و قال تعالى : " فو ربك لنسالنهم اجمعين " الحجر - ٩٢ و قال تعالى : " و ربك يعلم ما تكن صدورهم " القصص - ٦٩ . و لاجل ما تقدم من انه ام الاسماء ، و كونه مظهرا لجملة من اسمائه المقدسة لم يرد في القرآن الكريم دعاء من عباده الا مبدوءا باسم الرب قال تعالى : " ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الاخرة حسنة " البقرة - ٢٠١ و قال تعالى : " ربنا اغفر لنا ذنوبنا " آل عمران - ١٤٧ و قال تعالى : " رب اجعل هذا البلد آمنا " ابراهيم - ٣٥ و قال تعالى : " رب ارني كيف تحيي الموتى " البقرة - ٢٦٠ و غيرها من الايات المباركة و لعل السر في ذلك هو افادة هذا اللفظ حالة الانقطاع الى الله تعالى اكثر من غيره و لذا وقع من انبيائه العظام في تلك الحالة قال تعالى عن لسان نبينا الاعظم " صلى الله عليه و آله " : " يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا " الفرقان - ٣٠ و قاله تعالى عن لسان نوح ( عليه السلام ) : " رب اني دعوت قومي ليلا و نهارا " نوح - ٥ . فليس في اسمائه المقدسة اعم نفعا و اكل عناية و لطفا من اسم ( الرب ) بالمعنى الذي ذكرناه ، و لعل المراد بقوله تعالى : " قل من بيده ملكوت كل شيء " المؤمنون - ٨٨ و قوله تعالى : " او لم ينظروا في ملكوت السماوات و الارض " الاعراف - ١٨٥ و قوله تعالى : " فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء " يس - ٨٣ هو الربوبية العظمى الالهية فان التغييرات و التبدلات اللازمة لعالم الكون و الفساد ، و الافاضات الحاصلة منه تعالى على العوالم هي عبارة عن الملكوت المضافة اليه تعالى ، مع ان الثابت في علم الفلسفة ان ما سواه تبارك و تعالى يحتاج اليه تعالى في البقاء كما يحتاج اليه في اصل الحدوث ففي كل لحظة - بل اقل منها - له رحمة خالقية و ربوبية بالنسبة الى ما سواه من الموجودات و هذا هو معنى القيمومية المطلقة التي لا يمكن احاطة الانسان بها و بالربوبية العظمى كعدم امكان الاحاطة بذاته تعالى و تقدس شانه . قوله تعالى : العالمين . جمع عالم و هو ايضا جمع ، لا واحد له من لفظه كالقوم و الرهط و النفر ، و اشتقاقه من العلامة بمعنى الدلالة فكل ما هو مخلوق علامة و آية كاشفة عن خالقه ، كما ان كل معلول او مصنوع علامة للعلة او الصانع . و الممكن علامة عقلية للواجب بالذات ، فكل ممكن عالم من عوالمه عز و جل بذاته و كل ما يتعلق من عوارضه و آثاره و خواصه من ادنى الموجودات الى ارقاها فجميع الموجودات عوالمه و جميع آياته و ياتي في الاخبار تفسير العالمين بالجماعات من المخلوقات ايضا . و عن جمع ان العالم لا يطلق الا على كل جماعة متمايزة لافرادها صفات تقربها من العقلاء و ان لم تكن منهم و ذاك لان هذه العوالم هي التي يظهر فيها معنى التربية . و هو فاسد لانه ان كان المراد به التغليب فله وجه ، و ان كان المراد عدم الصدق الحقيقي على ما لا يعقل فهو مخالف لصحة اطلاق عالم التكوين فان اطلاقه يشمل الجمادات ايضا . و ان اثر التربية يظهر في كل ما يسمى شيئا قال تعالى : ( و هو رب كل شيء ) الانعام - ١٦٤ . فلا اختصاص للتربية بمن يعقل . ثم ان معنى العالم و مدلوله وسيع جدا و غير محدود بحد ، بل غير متناه - بالمعنى الذي سنبينه ان شاء الله تعالى - فمن اقرب العوالم الى الانسان عالم التراب الذي يكون محسوسا له هو عظيم لم يتمكن الانسان من ادراك جميع خصائصه و جهاته مع انه من اجل العوالم نفعا ، و كذا بالنسبة الى عالم الانسان الذي كل من اراد فهمه لا يزداد الا تحيرا فيه ، و هكذا غيرهما من العوالم فليس للانسان الا الاعتراف بالعجز و القصور امام جلال عظمته تبارك تعالى . و العوالم تارة : تكون في نفسها مترتبة منظمة بان يكون كل سابق مقتضيا للاحقه فيصح ان يقال اول ما خلق الله العقل في عالم الروحانيين و المجردات كما في الحديث ، و اول ما خلق الله تعالى في عالم الماديات الماء ، و كما عن علي ( ع ) . و اول ما خلق الله في عالم الاعراض الحروف ، كما في بعض الاخبار الى غير ذلك مما ورد في اوليات خلق عوالمه تعالى ، و للفلاسفة من الاقدمين بل و من المسلمين مباحث علمية في بيان العوالم المترتبة ( طولية ) و قد اثبتوا ذلك بالبرهان و سياتي تفصيل العوالم في محله ان شاء الله تعالى . و اخرى : لا ترتب بينها بل ينشا جمع من تلك العوالم عن مبدا واحد في عرض واحد كما نشاهد ذلك في عالم الطبيعة . و ثالثة : تكون مركبة من القسمين كما هو المحسوس في عالم النطفة في صلب الرجال ثم مسيرها الى الرحم و مجيئها الى هذا العالم و كذا كل ما هو في مسير الاستكمال و الارتقاء و يسمى هذا العوالم الطولية و في عرض ذاك عوالم اخرى ان لوحظت مع نظيرها ، كما تقدم في القسم الثاني . و هناك عوالم ( طولية ) اخرى يمر الانسان عليها و هي عالم الدنيا ، و عالم البرزخ ، و عالم النشر و الحشر ، و عالم الخلود و سياتي بيانها في الايات المناسبة لها انشاء

الله تعالى . نعم هنا بحث و هو ان العوالم هل هي متعددة حقيقة او ان تعددها اعتبارية محضة ؟عن بعض المحققين من المتالهين ان العالم واحد و هو عالم الدنيا و غيره من عوالم البرزخ و الحشر و النشر و الخلود من تبعاتها و شؤونها فتكون الدنيا كالمادة للجميع السارية فيها فيكون العالم واحد حقيقة و سياتي تفصيل هذا البحث في الايات المناسبة له . و كل ما تقدم من العوالم - بشؤونها و اصنافها - غير متناهية بجميع مراتبها - و ياتي شرح ذلك مفصلا - و انها مخلوقة باحسن خلق و اكمل نظام ، كما ان جميع تلك الاصناف غير المتناهية مورد ربوبيته العظمى و قيمومته المطلقة و له المعية ( الاحاطة ) التدبيرية بكل ما سواه من العالم ، و لكن تلك المعية في العباد لا يوجب سلب اختيارهم ، لان الاختيار فيهم ثابت لفرض وجود التربية التشريعية و هي لا تعقل بدون الاختيار و اما تربيته التكوينية فهي منحصرة بارادته و اختياره تعالى كما ياتي تفصيل هذا الاجمال في محله ان شاء الله تعالى . ثم ان في ذكر رب العالمين بعد الحمد دلالة على ان من موجبات استحقاقه تعالى للحمد هو كونه رب العالمين .

**السورة الفاتحة ( ١ ) آية ٣**

ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى : الرحمن الرحيم . تقدم تفسيرهما .

**السورة الفاتحة ( ١ ) آية ٤**

مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ

قوله تعالى : مالك يوم الدين . هذه المادة ( المالك ) باي هيئة استعملت تكون بمعنى الاستيلاء و الاحاطة و الاحتواء سواء كان بالنسبة الى الخلق و الايجاد او بالنسبة الى النظم او الانتظام . نعم هي في المخلوق محدودة لفرض محدودية ذاته و صفاته و في الخالق لا وجه للتحديد فيه بوجه من الوجوه ، و ذكر يوم الدين من باب ذكر بعض المصاديق لنكتة لا للانحصار كما ستعرف . نعم مالكية يوم الدين يستلزم مالكيته لجميع العوالم السابقة عليه نحو استلزام النتيجة للمقدمات كما ان مالكية الدنيا ملازم لمالكية يوم الدين كاستلزام المقدمات للنتيجة المنطوية فيها ، مع ان قوله تعالى " بيده الملك " تبارك - ١ ، و قوله تعالى : " له الملك و له الحمد " التغابن - ١ ، و قوله تعالى : " بيده ملكوت كل شيء " المؤمنون - ٨٨ عام يشمل جميع العوالم و مالكيته لها بالدلالة المطابقية . ثم انه وردت هذه المادة باغلب مشتقاته في القرآن الكريم فقد اطلق فيه الملك ( بفتح الميم و كسر اللام ) بالنسبة اليه تعالى : " لا اله الا هو الملك القدوس السلام " الحشر - ٢٣ و قال تعالى : " فتعالى الله الملك الحق " طه - ١١٤ ، و قال تعالى : " ملك الناس " الناس - ٢ كما ورد الملك ( بضم و سكون اللام ) مضافا اليه تعالى كثيرا قال تعالى : " له ملك السماوات و الارض " الحديد - ٢ ، و قال تعالى : " ذلكم الله ربكم له الملك " فاطر - ١٢ ، و قال تعالى : " تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء " آل عمران - ٢٦ . و قد ورد المالك قال تعالى : " اللهم مالك الملك " آل عمران ٢٦ كما ورد المليك ايضا قال تعالى : " عند مليك مقتدر " القمر - ٥٥ و لم يرد الملك ( بكسر الميم و سكون اللام ) لا غناء الملك ( بضم الميم ) عن ذلك على نحو الاتم و الاكمل ، و لعل عدم وروده في القرآن لانه غالبا يستعمل في الامور الزائلة و هو تعالى منزه عن اضافة مثله اليه . هذا و قرا ( ملك ) لان كل ملك يستلزم المالك و لا عكس . و الظاهر انه لا فرق بالنسبة اليه تعالى لكونه مالكا في عين ملكيته تعالى و بالعكس فكما انه تعالى رب العالمين بالنسبة الى جميع الموجودات ملك و مالك بالنسبة الى جميعها ايضا . و قد يرجح قراءة ( مالك ) لان المالكية تشمل ملكية الاجزاء و الجزئيات بخلاف ( ملك ) فان الملكية هو التسيطر على الكل هذا بحسب اللغة و اما بالنسبة اليه تعالى فقد قلنا انه لا وجه لذلك ، كما تقدم و ان كان قراءة ( مالك ) اوفق بالعرف . ( يوم ) : المراد به هو الوقت و ان كان اطلاقه على الزمان الذي لا ظلام فيه بالطبع اطلاقا شائعا و لكن ليس بحسب ذاته و من مقوماته فهو غير محدود بحد معين بل هو بالنسبة الى هذا العالم الذي نحن فيه المقدر فيه الليل و النهار لاجل دوران الكرة الارضية لا بالنسبة الى جميع

العوالم ، و لذا لم يذكر اليوم في القرآن في مقابل الليل و انما ذكر النهار في مقابله . و مما يدل على عدم التحديد فيه قوله تعالى : " ان يوما عند ربک كالف سنة " الحج - ٤٧ ، و قوله تعالى : " خلق السماوات و الارض في ستة ايام " الاعراف - ٥٤ ، و قوله تعالى : " فقضاهن سبع سموات في يومين " فصلت - ١٢ بناء على ان اليوم المعهود لدينا انما حدث بعد خلق السماوات و الارض و لا وجه لاخذ الحد الخاص الحاصل من خصوصيات عالم معين في معنى الكلمة الذي هو عام و شامل لجميع العوالم الا اذا كانت هناک قرائن معتبرة خارجية تدل على خصوصية معينة و حد خاص . ( الدين ) : هو الجزاء و يوم الدين هو يوم الجزاء على الاعمال و حسابها ، كما في آيات كثيرة مثل قوله تعالى : " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت " غافر - ١٧ ، و قوله تعالى : " اليوم تجزون ما كنتم تعملون " الجاثية - ٢٨ . الى غير ذلک من الايات المباركة . و المستفاد من مجموع الايات ان الانسان من بدا حدوثه الى خلوده هو في يومين يوم العمل الذي يعتبر عنه ب ( الدنيا ) و يوم الجزاء المعتبر عنه ب ( الاخرة ) او يوم القيامة او غير ذلک . و قد وصف الله تعالى هذا اليوم باوصاف شتى كالعظيم ، قال تعالى : " فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم " مريم - ٣٧ ، و المحيط كقوله تعالى : " و اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط " هود - ٨٤ ، و بانواع الحوادث العظيمة الهائلة قال تعالى : " يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكرى و ما هم بسكرى " الحج - ٢ و كل ذلک لاجل بيان نهاية عظمة اليوم ، و قد لخصها الله تعالى في سورة الانفطار باحسن تلخيص و اكمل بيان و اتم دهشة و في المقام مباحث ياتي في مواضعها المناسبة لها انشاء الله تعالى ، و انما ذكر الله عز و جل " مالک يوم الدين " مع انه تعالى مالک لجميع ما سواه و لم يخرج عن ملكه شيء لان يوم الدين مظهر ثبوت الوحدانية المطلقة و الربوبية العظمى الالهية عند الكل و انقهار الجميع تحت قهاريته و هو يوم ظهور فساد الشرک الذي توهمه الناس بزعمهم و خيالهم فيوم الدين يوم يظهر فيه التوحيد الحقيقي و العدل الالهي . و انما ذكر " مالک يوم الدين " بعد " الرحمن الرحيم " ترغيبا لعباده و حنانا عليهم بان لا تغلبهم دهشة اليوم فان الرحمن الرحيم معهم في اي عالم وردوا عليه و حاضر فيهم في ما اذا احاط بهم الدهشة و هذا من لطيف المعاتبة بين المالک الحكيم الغنى و المملوک المحتاج فيدفع بيد و يجذب بالاخرى و قد جمع الله تعالى بين الترغيب و الترهيب .

**السورة الفاتحة ( ١ ) آية ٥**

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

قوله تعالى : اياک نعبد : لفظ الخطاب ﴿ اياک ﴾ استعمل هنا في مقام الحصر ، و قد اطلق عليه تعالى في القرآن بضمير الغيبة و ضمير المتكلم مع افادتهما الحصر ايضا قال تعالى : " امر ان لا تعبدوا الا اياه " يوسف - ٤٠ و قال تعالى : " ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون " العنكبوت - ٥٦ . و يستفاد الحصر في المقام من امرين - احدهما : سياق الاية المباركة لان من كان " رب العالمين " و " الرحمن الرحيم " و " مالک يوم الدين " لا وجه لعبادة غيره فان غيره مطلقا مملوک له تعالى و محتاج اليه و لا وجه ان يدع من له تلک الصفات في عبادته و يعبد غيره ، و منه يظهر سر قولهم ( عليهم السلام ) " العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان " و كثرة اطلاق الجهل على المشركين في الكتاب و السنة . الثاني : استفادة الحصر من انفصال الضمير و تقديمه و ينحل الحصر الى النفي و الاثبات كانه قال : لا نعبد غيرک و نعبدک ، كما في لا اله الا الله . و سائر موارد الحصر . و في الاية المباركة التفات من الغيبة الى الخطاب لانه بعد اقرار العبد بالالوهية و الاعتراف بالربوبية و انه مالک يوم الجزاء صار لائقا بالمخاطبة الحضورية معه تعالى فارتقى العبد من الغيبة الى الحضور لارتقاء مقام قلبه عن الغفلة الى التوجه و الحضور . و للتوجه من الغيبة الى الحضور مراتب بحسب مراتب المعرفة و الطاعة في العبد ، كما ياتي ان شاء الله تعالى . ( تعبد ) العبادة : الطاعة و اصل المادة تنبئ عن الذل و الخضوع و الاستكانة و الانقهار في اي هيئة استعملت و منها العبد و المملوک فالمادة تشمل العبودية التسخيرية و العبودية الاختيارية و الواقعية و العبادات الباطلة الاعتقادية ، كما في قوله تعالى : " الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان " يس - ٦٠ . و قوله تعالى : " انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم " الانبياء - ٩٨ ، و قوله تعالى : " انما تعبدون من دون الله اوثانا " العنكبوت - ١٧ ، و العبادة : خضوع خاص ناشئ عن الاعتقاد بان للمعبود عظمة ، و لا يحيط بها العقل في المعبود الحقيقي لعدم وصول الادراک الى عظمته فضلا عن ذاته و ان كان مدركا بالاثار ، كما عرفت فانه اعلى و اجل من ان يرقى اليه ادراک احد ، و لذا لا تصدق العبادة على الخضوع بالنسبة الى غيره تعالى ، و قد تطابق العقل و النقل على عدم جوازها لغيره تعالى لان حقيقتها الخضوع لمن هو في اعلى درجات الكمال بحيث لا كمال فوقه و هو منحصر بالله تعالى ، و في قوله تعالى : " ا تعبدون ما تنحتون - و الله خلقكم و ما تعملون " الصافات - ٩٥-٩٦ اشارة الى ذلک و انه لا تكون العبادة الا للخالق و مفيض الحياة و الاطلاق بالنسبة الى غيره تعالى اعتقادي باطل لا واقعي حقيقي . و العناوين الشايعة ثلاثة : العبادة ، و الطاعة ، و

الانقياد . و الاول عبارة عن اتيان العمل بقصد التقرب الى الله تعالى سواء كان صحة العمل في حد نفسه متوقفة على قصد القربة - كالصلاة و الصوم و الحج و غيرها من سائر العبادات فاذا اتى بها من دون قصد القربة يبطل اصل العمل - او لم يكن كذلك كقضاء حوائج الاخوان و اداء حقوق الناس او مثل النظافة فاذا كان لله تعالى يثاب عليه مع حصول الطاعة و اذا لم يكن له تعالى تحصل الاطاعة دون الثواب فالاطاعة اعم من العبادة ، كما و ان الانقياد اعم من كل منهما لا طلاقه عليهما و على اتيان ما يحتمل انه محبوب لله تعالى و ترك ما يحتمل انه مبغوض له عز و جل و ان لم يكن امر و نهى منه تعالى و قد فصلنا الكلام في المهذب . و قد وردت الاطاعة في كثير من مشتقاتها في القرآن الكريم ، قال تعالى : " و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما " الاحزاب : ٧١ ، و قال تعالى : " و اطيعوا الله و رسوله " الانفال - ٤٦ ، و قال تعالى : " فمن تطوع خيرا فهو خير له " البقرة - ١٨٤ ، و قال تعالى : " و ما ارسلنا من رسول الا ليطاع " النساء - ٦٤ الى غير ذلك من الايات المباركة . ثم ان العبادة هي التوجه الى المعبود في القيام بما جعله من الوظيفة و اتيان المطلوب الذي اراده من العبد و حيث ان الله تعالى يطلع على النوايا كاطلاعه على الاعمال فلا بد و ان تكون النوايا القلبية متوجهة اليه تعالى و منحصرة في العبودية له تعالى . و بعبارة اخرى كما ان العابد حاضر لدى الله تعالى و لا يخفى منه على الله شيء و هو عالم السر و الخفيات بل " و هو معكم اينما كنتم " الحديد - ٤ ، يعلم خطرات القلوب و حركات الجوارح و لحظات العيون فلا بد و ان يكون توجه العابد الى مثل هذا المعبود كاملا و كذا في قلبه تاما بحيث لا يخطر في قلبه غيره فان ذلك يوجب النقص في العبادة و العبودية بل قد يوجب الطرد و الهجران و الاثم و العصيان و قد قال علي ( ع ) في معنى العبادة : " ان تعبد الله كانك تراه و ان لم تكن تراه فانه يراك " و ياتي التفصيل في قوله تعالى : " و ادعوه مخلصين له الدين " الاعراف - ٢٩ . و الدواعي للعبادة كثيرة حتى عند شخص واحد فربما يختلف دواعيه لها في حالة عن حالة اخرى و كل ما كانت العبادة مجردة عن الدواعي الشخصية و المادية كانت العبادة اشد خلوصا لله تبارك و تعالى و لذا ورد عن علي ( ع ) : " ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، و ان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، و ان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار " و نسب اليه ( ع ) : " ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا في جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك " و عن ابي عبد الله الصادق ( ع ) : " العبادة ثلاثة : قوم عبدوا الله عز و جل خوفا فتلك عبادة العبيد ، و قوم عبدوا الله تبارك و تعالى طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء و قوم عبدوا الله عز و جل حبا له فتلك عبادة الاحرار و هي افضل العبادة " و لا شك في ان عبادته لحبه تعالى ، كما في هذه الرواية من افضل انحاء العبادات لخلوصها حتى عن المسالة عنه تعالى و اضافة شيء اليه عز و جل خارجا عن ذاته ، و لكن في بعض الروايات عن علي ( ع ) كما تقدم " ان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار " و هي من افضلها ايضا و لكن لا تصل الى مرتبة المحبة ، لان المحبة قد تصل الى مرتبة الفناء في المحبوب فلا يرى شيئا آخر ابدا وراء اهلية المحبوب و الشكر هو لحاظ شيء آخر وراء ذات المحبوب و سياتي تفصيل هذه المباحث في محالها ان شاء الله تعالى . و اذا تحققت العبادة الواقعية بحيث لا يشوبها شيء كانت ثمرتها عظيمة لا يمكن حدها و قد ورد في ذلك ما يوجب التحير منه فعن ابي جعفر ( ع ) : " ان الله جل جلاله قال : ما يقرب الي عبد من عبادي بشيء احب الي مما افترضت عليه و انه ليتقرب الي بالنافلة حتى احبه - الحديث - " فان محبته تعالى لعبده من اجل مراتب الكمال و توجب وصوله الى مقامات عالية لا ستلزام الانقياد و العبودية التامة من العابد الافاضة المطلقة بالنسبة اليه و يستفاد ذلك من كثير من الروايات ، كما ياتي ان شاء الله تعالى . و عن المحقق الطوسي ان العبادة اقسام ثلاثة : قلبي كالعقائد الحسنة و بدني كالاعمال الحسنة ، و اجتماعي كالمعاملات الشرعية و الاخلاق الحسنة مع الناس و سياتي في الايات المباركة المناسبة لها تفصيل الكلام . قوله تعالى : اياك نستعين . الاستعانة طلب العون ، و الحصر هنا كالحصر في " اياك نعبد " لفظي و سياقي و حالي ، لان الغنى المطلق من كل جهة لا بد و ان تنحصر الاستعانة به و الاستعانة بما سواه ان رجعت اليه تكون الاستعانة به و الا يكون شركا من هذه الجهة ، فيكون المعنى هنا مشتملا على النفي و الاثبات اي : لا نستعين بغيرك و نستعين بك فقط . ثم ان الاستعانة بالله تعالى اما اختيارية او تكوينية بلسان الحال و الاستعداد ، و الثانية من لوازم الامكان لا تنفك عنه في جميع العوالم فان المخلوق محتاج في حدوده و بقائه الى الخالق و مستعين به بل كل معلول مستعين كذلك من علته ، كما ثبت بالبراهين العقلية و النقلية ان مناط الحاجة الامكان دون الحدوث فجميع ما سواه مستعينا به ذاتا و قد تجتمع الاستعانتان كما في المؤمنين بالله تعالى فان فيهم الاستعانة التكوينية و الاختيارية ، و كل ما تجلت عظمة المستعان في قلوبهم اشتدت استعانتهم به فالاستعانة به تعالى تتفاوت شدة و ضعفا . و تاخير العبادة و الاستعانة عن " مالك يوم الدين " نحو تاخير المعلول عن العلة يعني : من كان رب العالمين و مالك يوم الدين لا بد و ان يكون معبودا و مستعانا به . كما ان في تقديم العبادة على الاستعانة اعتراف بالمسكنة و الخضوع بالطف وجه في ان يعتني الغنى المطلق باستعانته ، و من ثم قيل : نعم الشيء الهدية امام الحاجة مع انه من قبيل تقديم الغاية على ذيها لكثرة اهمية الغاية فان غاية الاستعانة بالله انما هو استعانته في عبادته و ان ما سواها امور زائلة و حقيرة ، و العاقل لا يستعين بالله تعالى في امور زائلة غير دائمة الا اذا رجعت الى ما هو دائم يبقى . بل ان عبادته تعالى و الاستعانة منه عز و جل متلازمتان فعبادته استعانة به كما ان نفس الاستعانة عبادة له فيكون مثل قول القائل : اديت ديني فقضيت حاجتي او قوله قضيت حاجتي اديت ديني . و في ذلك اشارة الى ان لا ينسب العبد الى نفسه شيئا فانه خلاف ادب العبودية . و جملة " اياك نعبد و اياك نستعين " دليل واضح على ابطال الجبر و التفويض و اثبات الامر بين الامرين كما ذكره الائمة الهداة ( عليهم السلام ) على ما ياتي بيان هذا المبحث الشريف مفصلا في الايات المناسبة له ان شاء الله تعالى . و

انما ذكر " نعبد " و " نستعين " بلفظ الجمع اما باعتبار القارئ و من معه من الملائكة الحفظة ،او باعتبار من معه في صلاة الجماعة ، او من المصلين ،او باعتبار من معه في الاعتقاد رجاء ان يكون فيهم من يقبل عمله فيقبل منه ايضا ، و لاجل تصغير ما يصدر عنه من العمل فاذا التفت الى ان الكل يعبدونه و يستعينون به عز و جل فلا يغتر به و لا يحسب لنفسه وزنا . و الاولى ان يقال : ان لفظ الجمع فيهما للتحريض الى حفظ وحدة المجتمع الذين يعبدونه تعالى و يستعينون به فكما انهم مجتمعين في وحدة المعبود و العبادة و المستعان به لا بد و ان يكونوا كذلك في جميع شؤونهم كما تدل عليه آيات كثيرة و سياتي التعرض لها ان شاء الله تعالى . و انما كرر لفظ " اياك " لتاكيد الحصر و تشديده في كل واحد من العبادة و الاستعانة و اطلاقها و حصرها فيه تعالى يقتضي الاستعانة به في جميع الامور مطلقا و هي عبارة اخرى عن الاعتقاد ب " لا حول و لا قوة الا بالله " و العمل بمقتضاه في جميع الاحوال .

قوله تعالى : اولئك على هدى من ربهم و اولئك هم المفلحون .الفلح : الشق و القطع .و اصل الفلاح الظفر بالمقصود و الفوز بالمطلوب بعد الكد و الاجتهاد فكانه قد قطع المصاعب حتى نال مقصوده و لا يطلق الا في الخير ، فالمفلحون هم الذين ادركوا و امنوا مما منه فزعوا في الدنيا و الاخرة كما هو مقتضى الاطلاق . و الاية في مقام بيان حال المتقين فان اتصافهم بالصفات المذكورة يقتضي فوزهم بالهداية و الفلاح ، و كل من الهدايتين بتوفيق من الله تعالى الاولى بالنسبة الى الحدوث و الثانية بالنسبة الى البقاء ،او ان الاولى بالنسبة الى بعض المراتب و الاخرى بالنسبة الى ما فوقها . و عليه يكون المشار اليه ب " اولئك " في الموضعين واحدا و هم المتقون و قد رتب الفلاح على التقوى في آيات كثيرة قال تعالى : " فاتقوا الله يا اولى الالباب لعلكم تفلحون " المائدة - ١٠٠ و قال تعالى : " و اتقوا الله لعلكم تفلحون " آل عمران - ٢٠٠ و قال تعالى : " قد افلح من تزكى " الاعلى - ١٤ الى غير ذلك من الايات المباركة . و تكرير الاشارة و ذكر ضمير الفصل " هم " للدلالة الى رفعة مقام المفلحين و اعلانا لعظمة شانهم . و ذكر حرف الاستعلاء في قوله جل شانه " على هدى " اشارة الى استيلائهم على الهداية و رسوخها فيهم و شدة تمكنهم منها ، و لا ريب في ذلك فان المواظبة على شيء و القيام به كما هو حقه يوجب اتصاف النفس به و ارتسامه فيها فيصير طبيعة ثانوية ربما تغلب الطبيعة الاولية كما هو المشاهد في بعض النفوس . كما ان تنكير لفظ " هدى " يفيد العظمة و عدم محدودية الهداية بحد لانها مفاضة من ربهم عليهم .

**السورة الفاتحة ( ١ ) آية ٦**

اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

**السورة الفاتحة ( ١ ) آية ٧**

صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم .هذا هو ثمرة العبادة و الغرض الاقصى من الاستعانة و اعلى المقامات الانسانية ، و هو الامانة التي عرضت " على السماوات و الارض و الجبال فابين ان يحملنها و حملها الانسان " الاحزاب - ٧٢ . و الهداية : الدلالة سواء كان الى الحق او الباطل ، و كثيرا ما يستعمل في القرآن هو الاول ، و من الثاني قوله تعالى : " و هديناه النجدين " البلد - ١٠ ، و قوله تعالى : " فاهدوهم الى صراط الجحيم " الصافات - ٢٣ . و للهداية مراتب كثيرة متفاوتة يصح تعلق الطلب بجميع مراتبها كما يصح تعلقه بالمراتب الراقية و ان كان الشخص واجدا لها بالنسبة الى المراتب السابقة ففي كل مرتبة منها يطلب المرتبة الا رقى منها ، فلا وجه للاشكال بان الشخص اذا كان واجدا للهداية لا يصح ان يطلبها من الله تعالى ثانيا لان ابقاء ما يكون واجدا له و تكميل مراتبه و طلب ما فوقه كلها من الله تعالى . و الهداية من افعاله تعالى و هي من صفات الفعل لا صفة الذات و قد اضطربت كلمات الفلاسفة المتالهين في الفرق بين ما هو صفة ذاته تعالى و ما هو صفة فعله فجعلوا بعض ما هو صفة الفعل صفة لذاته عز و جل و بذلك عسر الجواب عنه و لم ينهضوا بدليل يحسم الاشكال ، لكن المستفاد من الايات الشريفة - على ما

سياتي بيانها ان شاء الله تعالى - و السنة المقدسة قاعدة كلية و هي : كل ما يصح توصيف الله تعالى به و بنقيضه او ضده فهو من صفة الفعل و كل ما لا يصح ذلک فيه فهو من صفة الذات و الاول كالارادة قال تعالى : " يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر " البقرة - ١٨٥ و قال تعالى : " يضل الله من يشاء و يهدي من يشاء " المدثر - ٣١ و الثاني كالحياة و البقاء و العلم و السميع و البصير و القدير و سياتي التفصيل في الايات المناسبة ان شاء الله تعالى . ثم ان الهداية اما تكوينية او تشريعية و الاولى : ما يعم جميع ما سواه تعالى من المجردات و الماديات و يدل على ذلک قوله تعالى : " ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى " طه - ٥٠ فالبلوغ الى مرتبة الكمال في كل موجود هداية بالنسبة اليه . و الثانية تخص المؤمن و يطلبها منه عز و جل و قد جمعت في الانسان الهدايتان التكوينية و التشريعية و هو يطلبهما معا اما الاولى بالاستعداد كما في سائر الموجودات و الثانية بالطلب الذي يختص به و اما الكافر فله الهداية التكوينية فقط كالنباتات و الحيوانات و انما ترک الهداية التشريعية باختياره بعدما تمت الحجة عليه . الصراط : و هو الطريق المؤدي الى المطلوب . و الاستقامة هو الاستواء في مقابل الانحراف و الاعوجاج . و انها تعم الجميع من الاعتقادات و الملكات بل و الخواطر النفسانية و اعمال الجوارح من العبادات و المعاملات و المجاملات فانها ان طابقت مع رضاء الله تبارک و تعالى كانت مستقيمة و الا فهي منحرفة قال تعالى : " و من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم " آل عمران - ١٠١ فبين تعالى معنى الهداية و الصراط المستقيم بل يتحقق الصراط المستقيم في جميع الموجودات فانها ان طابقت مع ما جعله الله تعالى لها في النظام الاحسن كانت على الصراط المستقيم و الا خرجت عنه بعدم بلوغها الى غاياتها للحوادث الطارئة . فالهداية الى الصراط المستقيم متقوم بطرفين المفيض و هو الله تعالى و المستفيض و هو ما سواه تعالى لان جميع الموجودات في طريق الاستكمال الذي اعده الحكيم جل شانه . ثم ان الصراط المستقيم كلي واقعي له انواع كثيرة متفاوتة في التجرد و التعليق بالمادة و غير ذلک و يتحد مع الجميع اتحاد الجنس مع انواعه فالمجرد منه كالعقل الكلي و المتعلق بالمادة منه كنفوس الانبياء و الاوصياء ، و الاولياء و العرضية منه كالكتب السماوية و التشريعات الالهية . و قد بين الله تعالى معنى الصراط المستقيم الذي يطلبه الانسان في عدة آيات ، منها قوله تعالى : " قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما " الانعام - ١٦١ فجعل الدين هو الصراط المستقيم ، و منها قوله تعالى : " و اتبعوني هذا صراط مستقيم " الزخرف - ٦١ ، فجعل اتباع النبي ( ص ) هو الصراط المستقيم ، و كذا في قوله تعالى : " و انک لتدعوهم الى صراط مستقيم و ان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون " المؤمنون - ٧٤ ، و منها قوله تعالى : " و ان اعبدوني هذا صراط مستقيم " يس - ٦١ ، و جميع هذه الايات المباركة بيان لامر واحد و هو الدين الذي اراده الله تعالى لخلقه و عبر عنه بالنور في الايات الكثيرة كما سياتي بيانها . و الانحراف عن الصراط المستقيم وقوع في الظلمات التي لها انواع كثيرة يجمعها قوله تعالى : " المغضوب عليهم و الضالين " على ما سياتي ، و ذكره تعالى المغضوب عليهم و الضالين بعنوان الجمع اشارة الى التعدد و الاختلاف و عدم الوحدة فيه بخلاف الصراط المستقيم فانه واحد لا تعدد فيه بوجه و هو النور الذي لم يستعمل في القرآن الا مفردا بخلاف الظلمات ، قال تعالى : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور و الذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات " البقرة - ٢٥٧ و قوله تعالى : " يهدي الله لنوره من يشاء " النور - ٣٥ فالنور و الصراط المستقيم لا يعقل التعدد فيه لان مبداه منه تعالى كما ان بقائه به و منتهاه اليه بخلاف الظلمات فانها مختلفة حسب الاعتقادات و الاهواء الباطلة قال تعالى : " قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطک المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثرهم شاكرين " الاعراف - ١٧ ، نعم المستفاد من مجموع الايات و الروايات ان الظلم و الشرک من الشيطان فهما حقيقة واحدة لها مراتب كثيرة و مظاهر متفاوتة و الاختلاف في التعبير دون الحقيقة و سياتي تفصيل ذلک في بيان حقيقة الشيطان ان شاء الله تعالى ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين * - ٧ . قوله تعالى : صراط الذين انعمت عليهم . بيان للصراط المستقيم و انما كرر لفظ " الصراط " لاهمية الموضوع و ان المطلوب ليس مجرد حدوث الهداية فقط بل بقائها و ابقائها ، و قد بين تعالى صراط المستقيم بنفسه لان صراطا يكون مبداه من الله تعالى و منتهاه اليه كيف يمكن وصفها و باي وجه يتحقق نعتها ؟ . . فلا يقدر المخلوق ان يصفه الا بما وصفه الخالق بالقول الجامع في قوله : " صراط الذين انعمت عليهم " فمن يقدر ان يحد هذه النعمة العظمى التي هي اجل مواهب الله تعالى في الدنيا و الاخرة و اعلى الكمالات الانسانية في ما ترد عليه من العوالم كلها و انى للممكن المتناهي من كل جهة ان يحط بحقيقة ما يكون كله منه تبارک و تعالى و عن جمع من اللغويين ان استعمال النعمة يختص بذوي العقول فلا يستعمل في غيرهم الا بالعناية و له وجه ان اريد منه ان الغاية من خلق النعم هو الانسان كما في قوله تعالى : " خلق لكم ما في الارض جميعا " البقرة - ٢٩ و اما لو اريد ملاحظة الوسائط بعضها مع البعض فلا كلية له قال تعالى : " ا لم تر ان الفلک تجري في البحر بنعمة الله " لقمان - ٣١ . و انما اطلق لفظ النعمة في الاية المباركة ليفيد التعميم من كل جهة يتصور من النعم الظاهرية و الباطنية قال تعالى : " و اسبغ عليكم نعمة ظاهرة و باطنة " لقمان - ٢٠ كما بين تعالى بعض مصاديق نعمه في الاية المباركة : " و من يطع الله و الرسول فاولئک مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين " النساء - ٦٩ فانهم نعم مطلقا و ان تعدوا النعم الواردة من المبدا غير محدودة بحد خاص قال تعالى : " و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها " ابراهيم - ٣٤ ثم ان مادة ( نعم ) استعملت في القرآن العظيم بهيئات مختلفة كلها تشعر بالحنان و الرافة و العطوفة و الرحمة قال تعالى : " وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية " الغاشية - ٨ و قال تعالى : " اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم و اني فضلتكم على

العالمين " البقرة - ٤٧ ، و قال تعالى : " و نعمة كانوا فيها فاكهين " الدخان - ٢٧ الى غير ذلك من الايات المباركة الدالة على ما ذكرنا .
تلخيص ما تقدم في امور : ( الاول ) : لا ريب في ان تشريع الاديان السماوية و انزال الكتب الالهية و تكميل النفوس الانسانية بل و تنظيم العالمين - الدنيا و الاخرة - متقوم بهدايته تبارك و تعالى و لكثرة اهمية ذلك صارت الهداية من شؤونه المختصة به قال تعالى : " قل ان الهدى هدى الله " آل عمران - ٧٣ و قال جل شانه : " انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدي من يشاء " القصص - ٥٦ و كما تكون نفس الهداية من فعله تعالى كذلك تكون مراتبها و اقسامها لانه حكيم عليم بخصوصياتها و لكنها في الانسان بتوسط الاختيار دون غيره من سائر المخلوقات . ثم ان هذه الهداية - بالمعنى الذي تقدم - واجبة في النظام عقلا لان في تركها اهمال للنفوس المستعدة و تضييع لها و هما قبيحان عقلا و كل قبيح ممتنع بالنسبة اليه جل شانه . و سبل الهداية بالنسبة الى الله تعالى كثيرة فكل ما يسوق العبد اليه عز و جل يكون من مظاهر هدايته و مصاديقها فالقرآن من هدايته تعالى لعباده قال تعالى : " فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين " البقرة - ٩٧ ، و قال تعالى : " شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان " البقرة - ١٨٥ و كذلك سائر الكتب السماوية قال تعالى : " و آتيناه الانجيل فيه هدى و نور و مصدقا لما بين يديه من التوراة و هدى و موعظة للمتقين " المائدة - ٤٦ و قال تعالى : " انا انزلنا التوراة فيها هدى و نور " المائدة - ٤٤ و جعل الكعبة المشرفة ايضا من مظاهرها قال تعالى : " ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا و هدى للعالمين " آل عمران - ٩٦ كما ان السنة الشريفة ايضا كذلك لانها احسن سبيل لتكميل النفوس الانسانية . ( الثاني ) : ان هدايته جل شانه لعباده على انواع : الاول : عام يشمل الجميع قال تعالى : " انا هديناه السبيل اما شاكرا او كفورا " الدهر - ٣ و قال تعالى : " و هديناه النجدين " البلد - ١٠ و لا ريب في شمولها لجميع افراد الانسان كما يستفاد من الايات المباركة . المتقدمة الثاني : الهداية الخاصة و هي تخص بجمع بذلوا وسعهم في العمل بالشريعة المقدسة فزادهم الله تعالى بذلك انحاء الهداية لقوله تعالى : " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " العنكبوت - ٦٩ و قال تعالى : " و جعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا " السجدة - ٢٤ ، و قال تعالى : " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " الانعام - ٩٠ الى غير ذلك من الايات المباركة . الثالث : ما هو اخص من الثاني كما ورد في شان رسوله و حبيبه ( صلى الله عليه و آله ) : " لنريه من آيتنا انه هو السميع البصير " الاسراء - ١ و قال تعالى : " و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات و الارض و ليكون من الموقنين " الانعام - ٧٥ و غير ذلك مما ورد في شان انبيائه الكرام و هذا مقام عظيم لا يليق لاحد الا لهؤلاء ( صلوات الله عليهم اجمعين ) . و لكل من هذه الانواع مراتب كثيرة ايضا . ( الثالث ) : حيث ان منشا الصراط المستقيم - بكلا معنييه - من علمه تعالى و ابداع حكمته التامة و احاطته به من جميع الجهات فهو الاصل في الكمالات و ينبعث منه سائر الكمالات في المخلوقات فيكون مبدئه علمه تعالى و بقائه ببديع حكمته جل شانه و منتهاه الخلود في جنته و في مثل هذا الامر - الذي لا يدرك عظمته - لا يتصور فيه نقص و ينطوى فيه جميع المعارف الالهية ، و ما يتصور فيه من الاشتداد و الضعف انما هو من ناحية المتعلق و ياتي تفصيل ذلك في الايات المناسبة لها ان شاء الله تعالى . ( الرابع ) : تقدم ان الصراط هو الطريق المؤدي الى المطلوب و استعمل في القرآن الكريم موصوفا بالاستقامة و الاستواء غالبا و قد اضيف اليه تعالى بانحاء الاضافة كقوله تعالى : " و هذا صراط ربك مستقيما " الانعام - ١٢٦ و قوله تعالى : " صراط الله " الشورى - ٥٣ و قال تعالى : " الى صراط العزيز الحميد " سبا - ٦ و لم يضف الصراط الى غيره تعالى الا نادرا بخلاف السبيل فانه اضيف الى غيره تعالى كثيرا ، كما انه ذكر بلفظ المفرد و الجمع قال تعالى : " و لا تتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله " الانعام - ١٥٣ و قال تعالى : " لنهدينهم سبلنا " العنكبوت - ٦٩ . و السبيل هو الطريق الموصل الى الصراط و اختلاف السبل لا يوجب الاختلاف في اصل الصراط ، فمثل الصراط المستقيم و السبل المؤدية اليه مثل البحر و ما يتفرع عنه من الجداول فالبحر يفيض على الكل و الكل مستفيض من البحر و كلها موصوفة بالاستقامة و الرشاد و بازائها الاعوجاج و الانحراف و السبل المنحرفة المتفرقة هي سبل الشيطان كما تقدم . ( الخامس ) : للصراط المستقيم مراتب من الوجود الاولى : مرتبة البيان و اتمام الحجة و هي من الله تبارك و تعالى و انبيائه العظام و اوصيائهم ( عليهم السلام ) و يدخل في ذلك جميع الشرائع الالهية و الرسالات السماوية . الثانية : مرتبة الاعتقاد . الثالثة : مرتبة العمل و هما من وظائف العبد الا ان الثاني اشقهما عليه . الرابعة : مرتبة ظهوره في النشاة الاخرة و من هذه المرتبة الصراط في يوم القيامة الذي لا بد من العبور عليه للوصول الى محل الخلود فالعبور وضعي لا ان يكون تكليفيا ، اذ لا تكليف في يوم القيامة و ان اختلف زمان العبور و كيفيته تبعا لاختلاف درجات العابرين و معنوياتهم . قوله تعالى : غير المغضوب عليهم و لا الضالين . بيان للاية السابقة اهتماما بصراط المنعم عليهم و اعتناء بشانهم و انه يباين طريق المغضوب عليهم و طريق الضالين فالجملة الاولى وقعت في مقام المدح لعباد الرحمن و الاخيرة كانها وردت في مقام رجم الشيطان و من تبعه . و الغضب هو الشدة و رجل غضوب اي : شديد الخلق . و غضب الله تعالى عقابه دنيويا كان او اخرويا او هما معا ، كما ان رضاه ثوابه ، و هما من صفات الفعل لا من صفات الذات و تقدم بيان الفرق بينهما . الضلال بمعنى التحير و يستلزمه الهلاك و الغيبة عن المقصود الحقيقي و العقاب و الهلاك متلازمان و انما ذكرهما معا بيانا للمبدا و الاثر ، فالضلال مبدا العقاب و منشا استحقاقه و العقاب مترتب على الضلال ترتب المقتضى ( بالفتح ) على المقتضى ( بالكسر ) و انما قدم الغضب و العقاب على الضلال ارشادا للانسان بان لا يرتكب ما يوجب غضب الله تعالى . و الغضب استعمل في القرآن مع اللعن و مع الرجس و مع العذاب كما في قوله تعالى : " من لعنه الله و غضب

عليه " المائدة - ٦٠ و قوله تعالى : " قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب " الاعراف - ٧١ و قال تعالى : " فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم " النحل - ١٠٦ و قال تعالى : " و غضب الله عليهم و لعنهم و اعد لهم جهنم " الفتح - ٦ بل ورد في مورد بعض المحرمات ايضا : " و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه " النساء - ٩٣ و يستفاد من ذلک كله شموله لكل من انحرف عن الصراط المستقيم بالكفر سواء كان مشركا او غيره من اي ملة كان . و اما الضلال فهو بمعنى التحير كما عرفت فيشمل مطلق الكفر ايضا قال تعالى : " و من يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا " النساء - ١٣٦ فتفسير الاول باليهود و الثاني بالنصارى من باب التطبيق لا التخصيص حتى انه اطلق الضلال على مطلق العصيان ايضا قال تعالى : " و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا " الاحزاب - ٣٦ .